الفصل الثانى

الحضارة الإسلامية والحضارات القديمة

أولاً: الثقافة عند عرب الجاهلية – دراسة مقارنة

الجاهلية : (لفظ حدث فى الإسلام) للزمن السابق على بعثة الرسول ﷺ .

وقد كان العرب فى نهضة أدبية، ودينية قبل الإسلام، اضطربت معها الأفكار واختلطت الإعتقادات فكان منهم من حرم الخمر علي نفسه، ومن مال عن عبادة الأصنام إلى المسيحية، أو إلى بقايا دين إبراهيم واسماعيل العالقة بنفوسهم وقد عُرف هؤلاء (بالمتحنّفين) .

وفى العراق كان (المناذرة) وأصلهم من عرب الجنوب، وقد استفادوا من اختلاطهم بالفُرس والرومان.

أما عرب الحيرة فكان لهم أثر كبير فى الأدب العربى خاصة أنه قد تسربت إليهم أشياء من علوم اليونان وآدابهم.

وقد قامت دول عربية أخرى شمالى الجزيرة العربية منها ممالك (بطرا – تدمر – الغساسنة). وقد قال جويدى فى كتابه (جزيرة العرب قبل الإسلام) : إن شمال جزيرة العرب تأثّر بمَدَنيّة البلاد المجاورة وكان العرب مدينين للفرس والروم بكثير من ترقيهم الذى سبق الإسلام، وقد وردت فى أشعار العرب ألفاظ أرامية مثل (دمية، فدان)، وألفاظ يونانية مثل (نوتى، أسطول)، وألفاظ سريانية مثل (قارب، سفينة، قلع، صَارِى، ملاّح) وألفاظ حبشية مثل (بحر، شراع) .

وإلى جانب استعمال عرب الجنوب للحروف الهجائية فى الكتابة لأول مرة فى تاريخ العرب، وهو ما عُرف بالخط المسْند، وقد إنتقل إلى الحيرة ثم الأنباء وانحدر منه هناك ما عرف بالخط الكوفى، ثم جاء إلى مكة وقد تعلمه قليلون من قريش.

وقد أحرز العرب تقدما هائلا فى علم النجوم، الأنواء، مهاب الرياح، والكهانة والعرافة، والطب ، والقيافة، ومنها :

قيافة الأثر : المعروفة (تتبع آثار الرجل واقتفاء أثره حتى التعرف عليه) .

قيافة البشر: التى تُعرف (الريافة): وهى معرفة استنباط المياه من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده، وقُربه أو بعده عن سطح الأرض ويكون ذلك بشم

التراب، أو شم رائحة بعض النباتات، أو بحركة حيوان مخصوص، وهى من فروع الفراسة كذلك.

ويمكن القول بأن ندرة المياه وشدة حاجتهم إليه هى التى جعلت لهم استعداداً خاصا فى معرفة أماكنه، ولا تزال موجودة فى أعراب نجد بالمنطقة الشرقية حتى اليوم.

مما تقدم يتضح أن منطقة الشرق الأوسط الواقعة بين الخليج العربي والمحيط الأطلسى، والتى تضم إليها إيران – هى فى مجموعها منبت الثقافات، ومهد أقدم الحضارات البشرية، كما أنها صارت بعد مهبطا للديانات السماوية جميعها (يهودية، ومسيحية، وإسلامية)، وعلى هذا فإنها تعد بحق رائدة الحضارات وحاملة المشاعل والنبراسات التى أضاءت جنبات العالم، خاصة على أيدى رجالات الفتح الإسلامى، وهم فى مجموعهم أبناء حضارات الشرق الأوسط كله (فى اليمن، وفي مصر، وسوريا، والعراق، ولبنان وفلسطين وتونس، وموريتانيا) وقد امتزج هؤلاء عبر التجارة، وتبادل الثقافات، والإندماجات التى حدثت بين حضارات الجوار وحضارات الشرق الأوسط القديم.

ويتميز سكان الشرق الأوسط بصفات مشتركة، قَلَّ أن توجد فى غيرهم من سكان المناطق الواقعة خلف جبال طوروس، فاللغات التى يتحدثون بها تشترك في كثير من الخصائص والقواعد اللغوية لأن تصرُّف الأفعال فيها متشابهة[1].

واستناداً على ما تقدم، اعتقد بعض العلماء أن هؤلاء السكان قد انحدروا من أصل واحد، وأطلقوا عليهم الجنس السامى، نسبة إلى سام بن نوح الذى سكن أحفاده الشرق الأوسط، وانقسموا بعد تكاثرهم إلى قبائل وشعوب.

كما أن بعض الباحثين قرروا أن الموطن الأصلى للشعوب السامية هو العراق وحاولوا تأييد نَظَرِيّتهم بما جاء فى التوراة والقرآن من أن سفينة نوح عليه السلام قد استقرت بعد الطوفان على جبل (الجودى) بشمال العراق عند الحدود مع تركيا، وانتشر الناس منه بعد ذلك.

وكانت حجة المعترضين على هذا الرأى أن الهجرة الجماعية، إنما تكون فى العادة من مناطق الجدب إلى مناطق الخصب والنماء، أما أن يحدث العكس فَلاَ[2].

وعندى يمكن التأكيد على أن الهجرة يمكن أن تكون على الضد من قول هؤلاء الباحثين، إذا ما اقتضت لها ضرورة. من ذلك مثلا – ما كان من هجرة نبىّ الله إبراهيم

---

(١) تاريخ سوريا ص٦٢ فيليب متى.

(٢) محاضرات فى تاريخ العرب. ج١ ص٩ د. صالح العلى.

عليه السلام من عند حدود الآراميين من منطقة (جيرون) الخليل حيث يسكن ولده اسحق (حرار، والنقب)، وحفيده يعقوب (اسرائيل) يسكن فى شكيم، وقد ذهب إبراهيم عليه السلام وولده اسماعيل إلى حيث الجفاف، والجدب والصحراء القاحلة، وقد حكى القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ** ﴾ [إبراهيم : ٣٧] كما كانت من قبل هجرة العبرانيين من العراق حيث دجلة والفرات (حضارة بين الرافدين) – إلى فلسطين ليعملوا رُعاة يرتادون الأرض مع أغنامهم من مَرْعَى إلى آخر حتى منحهم الفلسطينيون الإقامة المستديمة ليزرعوا الأرض.

ومن مصر مثال آخر: حيث خرج اليهود فى هجرة جماعية من مصر[1] مع نبى الله موسى عليه السلام... هربا من فرعون وجنوده متوجهين إلى بيت المقدس وهناك خذلوا نبي الله موسى عندما أمرهم بدخول المدينة ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ** ﴾

[المائدة : ٢٢]

ومن ناحية أخرى فإنه كانت حالات ترحيل وتهجير إجبارى على مدار العصور ومن أشهرها عملية الترحيل الجماعى لما يُقارب الأربعين ألفا من اليهود من فلسطين على أيدى الفاتح الكلدانى (نبوخذ نصر) عندما نقلهم إلى العراق (بابل) عام ٥٩٧ ق.م فيما عرف بعد (عصر السبى البابلى) .

ومنه يُستدل على أن منطقة الشرق الأوسط هيأتها ظروفها، وساعدتها مقوماتها على أن تُكوّن وحدة واحدة تنطلق من أرضها أعظم الحضارات، وتحديداً من مكة المكرمة لتنشر الحضارة الإسلامية فى زَوَايَا العالم الأربع. بعد بعثة النبى محمد ﷺ، وقد ساهم فى ذلك مساهمة فعالة أن عرب الشمال (العدنانيون) الذين بُعث فيهم الرسول ﷺ لم يتأثروا باليهودية على الرغم من الجوار المباشر لفترات طويلة وعلي الرغم من قوة العلاقات التجارية معهم. ويرجع ذلك إلى أمور منها :

١– أن الجموح المادي الطاغى على أتباع العقيدة اليهودية صرف اهتماماتهم نحو إنشاء القواعد والمستعمرات على الطريق الساحلى الممتد بين الشام واليمن. مما شغلهم عن الدعوة.

٢– الإعتقاد الزائف لدى اليهود بأنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، ومن ثم فإنّهم لم يقبلوا لهذا أن يشاركهم العرب فى هذا الوصف والشرف ونظراً لأنانيتهم الشديدة فقد ضنُّوا بدينهم عن أن ينشروه بين العرب.

---

(١) تاريخ الشرق الأدنى القديم – مصر وسوريا القديمة ص ٣٣٤ .

هذا بالإضافة إلى اختلاف عقائدى جوهرىّ بين اليهودية التى تحرّمُ الانتفاع بالغنائم بينما العربى (قبل الإسلام) يقاتل من أجلها.

٣- لا تعتبر الديانة المسيحية كما أنها لم تكن المنافس القوى للوثنية العربية لأن تعاليمها المعقدة لا يقبلها العربى الذى فُطِر على البساطة فى كل شىء.

وكذلك لوجود خلاف جوهرى بين العقيدتين، فالمسيحية تقرر أن من ضربك على خدّك الأيمن فأدرْ له خدّك الأيسر، أما العربى فهو الأبي الذى لا يقبل الضّيْم.

لذلك ظل المجتمع العربى غارقا فى وثنيته الجامدة التى ظلوا عليها عاكفين شجعهم على ذلك أنها الموروث العظيم الهائل عن الأجداد حتى من عصر ما قبل الطوفان، وظلوا عليها عاكفين حتى فتح مكة.

* * *

ثانيًا : أضواء على العقيدة اليهودية

لُقّب بنو إسرائيل بثلاثة أسماء رئيسية عبر تاريخهم:

١- العبرانيون: فى فترة إبراهيم وموسى حيث عبروا نهر الفرات أو نهر الأردن.

٢- الإسرائيليين: بعد خروجهم من مصر حتى عهد سليمان عليه السلام (٩٦٠ : ٩٢٢ ق.م).

٣- اليهود: فى القرن التاسع عشر الميلادى ثم استُبدل باسم الصهيونية كمرادف له وقد مَثّلت إسرائيل الشعب السامى نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام ووقع قولهم أن كتَاب التوراة قد حرص على تأكيد ملكية أرض كنعان (فلسطين) بوعد من الرب لإبراهيم، حيث يزعمون بأن الرب قال له بعد اعتزال الوطن عنه « يا إبراهام، وفى أخرى (إبرام) إرفع عينك وانظر إلى الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التى أنت ترى أعطيتها »[١].

ومع تطور أحلام اليهود، شرع كُتّاب التوراة فى تنقيح الأخطاء وتقويم الإعوجاجات، وتصويب التشريعات التى جاءت معها من عند الرب (بحسب زعمهم) فقالوا: إن الربّ قطع ميثاقا على نفسه لإبراهيم بقوله (لنسلك أعطى هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير (نهر الفرات)[٢].

وكان من تمام الميثاق أن الرب سَيُخرج من صلب إبراهيم « إثنى عشر سبطا »- أبناء يعقوب - يملكون « أرض كنعان » مقابل عبادتهم له وحده وطلب منه أن يختن الذكور علامة على هذا الميثاق[٣]

---

(١) سفر التكوين : ١٣ .

(٢) سفر التكوين : ١٥ .

(٣) التربية والحضارة فى بلاد الشرق القديم ص ١٢٢ : ١٢٣ - سعيد إسماعيل على .

وأخيراً وصلت أحلام كُتاب التوراة إلى توريث هذه الأرض إلى يعقوب، حيث قال الله له: «والأرض التى أعطيتُ إبراهيم وإسحق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطى الأرض»(١).

وقد كان العبرانيون رعاة أغنام وماعز يرتادون الأرض من مرعى إلى آخر، وقد منحهم الفلسطينيون الإقامة المستديمة ليزرعوا الأرض، ولم يلبثوا أن توسعوا فى استيطانها ببطء كلما جاءت جموع من أقربائهم عند حدود الآراميين فى الصحراء.

وعندما هاجم الفرعون المصرى رمسيس الثالث الكنعانيين لبسط نفوذه على المنطقة الساحلية من غزة حتى جنوب يافا، وهزم الفلسطينيين، وطردهم إلى الساحل الجنوبى لسوريا، وكذلك لحرمان أصحاب حضارة بين الرافدين من تحقيق أحلامهم ووأد طموحاتهم فى التقدم نحو الغرب (سوريا وفلسطين) لأنهم منذ فجر التاريخ وعيونهم متوجهة إلى هذه المنطقة.

عند ذاك استغل العبرانيون الفرصة وهاجموا الفلسطينيين، وقد تمكنوا من السيطرة على البلاد، وقسّمُوها بين القبائل الإحدىَ عشرة وتركوا قبيلة لاوى الكهنوتية موزعة بين القبائل.

وهكذا بدأ الإسرائيليون محاولة تأسيس أول مملكة عبرانية (إسرائيلية) مستفيدين بذلك من الظروف القائمة والأوضاع الجديدة التى خلقها رمسيس الثالث.

بينما كان نظام الملكية مقتبس من الدول المجاورة لهم غير أنهم اختلفوا عنهم فى بقاء التنظيم القبلى من الناحية الإدارية، وأن الملك كان عليه أن يحكم حسب أوامر (يهوه) لذلك نشأ ما يسمى بعصر القُضاة، والتى تُقابل فترة الاستيطان حتى قرب نهاية القرن الحادى عشر قبل الميلاد، وهم الذين قادوا بنى إسرائيل ضد أعدائهم، ولكن سرعان ما انتهى حكم القضاة، وبدأ من حينه العمل بنظام الملكية للأسباب الآتية:

١- مطالبة بنو اسرائيل بمَلك يحارب الفلسطينيين، ويكون لهم قاضياً كذلك.

٢- ضغط الفلسطينيين على بنى إسرائيل.

٣- وجود نص فى التوراة يجعل الحكم ملكيا فى بنى إسرائيل.

٤- التهديد العَمُونى لحدود إسرائيل الشرقية.

وكان طالوت أول حكام بنى إسرائيل بعد القضاة، وقد انهارت مملكتُه سريعا، وجاء بعده زوج ابنته داود عليه السلام (١٠٠٤ - ٩٦٣ ق.م) والذي يُعتبر بحق

(١) العهد القديم الإصحاح ٣٥ - سفر التكوين ١٢.

المؤسس الحقيقى للملكة الإسرائيلية، وورثه ابنه سليمان عليه السلام لقول تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ [النمل : ١٦] فى الفترة من ٩٦٠ : ٩٢٢ ق.م، وقد عمل سليمان على التخلص من منافسيه والقضاء عليهم فاستخدم معظم واردات الدولة فى دعم الحكومة والقوات، وقسّم مملكته إلى اثنتى عشرة محافظة، وعين محافظا لكل محافظة، يدير الشئون ويجمع الضرائب، وعمل سليمان عليه السلام على تدعيم العلاقات بجيرانه فارتبط معهم برباط المصاهرة، حيث تزوج من بنات أمراء العمونيين، والمؤابيين، والأراميين والكنعانيين، والحثيين، وكذلك من مصر(١).

امتاز عصره بالنشاط والتجارة، ساعده فى ذلك تمكنه من إحكام سيطرته على الطرق التجارية فى سوريا وفلسطين، وقد توسع فى العمران واهتم بالتشييد والبناء، ومن أهم مبانيه بيت المقدس الذى بدأ فيه من السنة الرابعة لتوليه الحكم، واستمر العمل فيه سبعة أعوام، وتوفى سليمان فى ٩٢٢ .ق.م، وانقسمت بعده بنو إسرائيل إلى دولتين، ....

واحدة فى الشمال : وتدعى إسرائيل .

والأخرى فى الجنوب : وتدعى يهوذا(٢).

وقد تمكن الملك الأشورى (تجلا بلاسر) من الإستيلاء على أجزاء كبيرة من مملكة الشمال، وأصبحت تابعة للعاهل الأشورى تدفع له الجزية، ثم سقطت السامراء (العاصمة) فى يد سرجون الثانى فى العام الأول من مدة ولايته عام ٧٢١ ق.م وبذلك تلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد .

أما مملكة الجنوب : يهوذا : فقد خضعت للنفوذ المصرى، وظلت السيادة المصرية عليها، واستمر الأمر إلى أن جاء الملك « نبوخذ نصر » على عرش بابل فى [٦٠٥ : ٥٦٢] ق.م وقد حاصر أورشاليم وعندئذ مات ملكها « يهوياقيم » وخلفه (يهوياكين) الذى لم يفكر فى مقاومة « نبوخذ نصر » وخرج وعشيرته وسلموا أنفسهم إلى الفاتح الكدانى فى عام ٥٩٧ ق.م، وتم نقلهم إلى « بابل »، وتؤكد التوراة أن هذه المرحلة هى أهم مرحلة فى تاريخ نهاية يهوذا، وعيّنه « نبوخذ نصر » ملكا على يهوذا وغير اسمه إلى [صدقيا].

وقد حاول صدقيا فيما بعد أن يقود ثورة على بابل مما أدى بالملك البابلى بمحاصرة اورشاليم عام ٨٥٧ ق.م، وحاول صدقيا (يهوياكين)، الهرب من حرسه إلى

---

(١) تاريخ الشرق الأدنى القديم – مصر وسوريا القديمة ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(٢) انظر تفصيلا لذلك فى كتابنا المؤامرة الكبرى على العروبة والإسلام والإنسانية عبر مراحل التاريخ .

الشرق ولكنه أُسر وهو يعبر وادى الأردن قُرب أريحا، وأُقتيد أسيراً إلى (نبوخذ نصر) حيث ذبح أبناءه أمام عينيه ثم سَمَلَ عينيه (فقأهما) وقُيِّد مسلسلاً فى الأغلال إلى بابل حيث مات هناك بعد فترة قصيرة.

وهكذا انتهت (يهوذا) وأُدمجت في التنظيم الإدارى للإمبراطورية البابلية ولعل هذا ما يفسّر ذلك العداء الأزلى الكائن فى نفوس الإسرائيليين ضد الشعب العراقى وحكوماته عبر مراحل التاريخ للأخذ بالثأر القديم.

وعندما تمكن الملك الفارسى من دخول بابل عام ٥٣٨ ق.م سمح للمنفيين من اليهود بالعودة إلى أورشاليم إذا أرادوا ذلك.

وعندما جاء الإسكندر الأكبر ٣٥٦ : ٣٢٣م. إلى بلاد الشام، وخضعت له فلسطين، أصبح اليهود من مواليه، وبعد موته أصبحت فلسطين تحت حكم السلوقيين وبعد احتلال الرومان لفلسطين ودخول «بومبى» القدس عام «٦٣ ق.م» أصبحت دولة يهوذا ولاية رومانية، وفى عام ١٣٥م.[١] قام الإمبراطور «هادريان» باحتلال أورشليم حيث تم تدميرها تماما وبنى فوقها مدينة جديدة باسم (إيليا كابيتولينا) وقام الرومان بعمل مذبحة ختمت عصر اليهود فى فلسطين كدولة وكقومية، حيث تم تصفية بقايا اليهود إمّا بالإبادة أو الهجرة، وعلى ذلك فإن عام «١٣٥ م.» يمثل التاريخ الذى انتهت فيه نهائيا علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا، والعدد الذى بقى منهم بعد كل هذه المذابح حوالى (٤٠٠٠٠) أربعين ألفا.

وعند مطلع القرن التاسع عشر كان اليهود فى فلسطين لا يربو عددهم عن العشرة آلاف يهودى، إلا أن عددهم ازداد زيادة مطردة كنتيجة مباشرة لهجرة اليهود إليها بعد «وعد بلفور» الشهير. وتآمر الحلفاء ضد الشريف حسين المضطلع بشرافة مكة وكذلك:

بعد انهيار الخلافة الإسلامية فى تركيا؛ وتآمر البريطانيين ضد الفلسطينيين لصالح الإسرائيليين بهدف إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين[٢].

هذا ويمكن القول بأن الديانة الرسمية للكنعانيّين قبل نزوح العبرانيين إليهم كانت ديانة سامية تقر الشرك بالإله، وكان لكل مدينة أوربّما لكلّ عزبة صغيرة أو لكل بئر إله يسمى (بعل) أو (إلَهَةٌ) تسمى «بعلة» فهو أو هى (الملك المقدس) أو حامى القرية أو البئر، وكانت المعاشرة الجنسية تحت رعاية الآلهة عشتروت. وهى كمثيلتها البابلية.

---

(١) تاريخ الشعب اليهودى ج أ. ص ٢٧ . م.ل مارجوليز.

(٢) تفصيل الأحداث كاملة فى كتابنا المؤامرة الكبرى .

وكانت عشتار (عشتروت) يخضع لها الذكور والإناث، وكانوا يمنحون أجسادهم لهذه العملية بالأجر قربانا لها وتقديسا لألوهيتها، وكانت أيضا عبادة الشمس والقمر منتشرة وقد قلّدوا فيها أهل بابل، وكان قد أُقيم بجوار كل مذبح فى المعبد وَتَدٌ أو عامود، وهو يرمز إلى وجود الآلهة، وكان المذبح عبارة عن طولة الآلهة، حيث تُقدّم الهدايا لَهَا استدرارا للبركة من السماء، وكان يُحفر فى المذبح (جُبٌّ) لإستقبال دماء الذبائح من الحيوانات، أو يسكب فيها النبيذ، وعندما يتناول العباد أنصبتهم من اللحوم يحصل إذن الإتصال بالآلهة، وأحيانًا كان يؤتى بالحيوان الضَحيّة إلى المذبح حيث يُشْوى ويُؤْكل فيكون بذلك قربانا للآلهة ليُخلّص الناس حيث تصعد روحه إلى السماء.

وكانت الأعياد تقام فى فُصول الحصاد أو جمع الفواكه فى فرح عاصف فيقام الرقص تصحبُهُ الموسيقى الصاخبَة، ويشربون النبيذ بلا حساب، ويتهتك الرجال والنساء، وفى غمرة هذا المجون قد يطعنون بعضهم البعض بالسيوف حتى يسيل الدم بكثرة، وكانوا يقدّسون روح الموتى، فيقدمون لهم الأطعمة عند المقابر ويقضون الليالى فى منطقة المعابد، أو يدعوّن أرواح الموتى ويسألونهم عن الغيب، وانتشر السحر والشعوذة، كما كانوا يدفعون الأطفال لاقتحام النار إما لأغراض دينية أو قربانا لأمور غير عادية من أجل الآلهة(١).

وقد ارتبط تاريخ بني إسرائيل بنبي الله موسى عليه السلام. حيث يحكى لنا القرآن الكريم القصة كاملة بدأية من مولده عليه السلام إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى(٢).

وقد ظهر بين اليهود أنبياء كثيرون أرسلهم الله تعالى ليُوبّخُوهُم على شرورهم التى ارتكبوها ويحضوُهم على العودة إلى طريق الله الذى ضلوا ويحثوهم على العمل بشريعته التى أنكروها أو تنكروا لها، ويُنبئوهم بما أعده الله لهم من خلاص للذين يؤمنون به ويتّقُونه، ويحذروهم من هلاك الذين يكفرون به ويتمردون عليه.

* * *

١- النظم القانونيّة والاجتماعية لدي الإسرائيليين

اشتُقّت النظمَ الاجتماعية والقانونية عند لإسرائيليين من الكتاب المقدس (العهد القَديم) ويبدأ العهد القديم بأسفار موسى الخمسة:

---

(١) تاريخ الشعب اليهودى الجزء الأول ص ٢٧.

(٢) إرجع إلى المصحف الشريف وقد ذكر هذه القصة فى غير موضع.

أولها: سفر التكوين: ويحدثنا عن أصل العالم والبشر، ويتبعه تاريخ الإنسان حتى تكونت نواة الشعب العبرى بإبراهيم وأسرته، ويحكى هجرات أجداد العبرانيين إلى فلسطين وأخيراً إلى مصر.

الثانى: سفر الخروج: يسوده شخص موسى، ويحكى قصة الفرار من مصر، وإعلان الشريعة من جبل سيناء.

الثالث والرابع: سفر اللاّويّين وسفر العدد: يحتَويان على مزيد من أحكام الشريعة وأغلبها مما يَمتُّ إلى الطقوس، ويواصلان حكاية التجوال فى الصحراء حتى الوصول إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن.

الخامس: سفر التثنية: ويُورد أحكاما أخرى للشريعة على أنها آخر ما فرضه موسي قبل موته وأرض الميعاد على مرأى عينيه(١).

وكانت الأسرة هى النواة الحقيقية للحياة الاجتماعية في الدولة العبرية حيث كانت سلطة الأب هى السلطة العليا فى المجتمع العبرى كما هى العادة، وكان تعدد الأزواج مشروعًا حيث كان يتم عن طريق دفع العريس المهر فتكون له السلطة على العروس، وكانت هناك عقود شكلية، ولكنها غير ضرورية لصحة الزواج.

وهناك قوانين تحرم الزواج بين بعض الأقارب، كما أن هناك مواد أخرى من القانون تحرم الزواج بالأجانب، ولكن بطل هذا التحريم بمرور الوقت، والتاريخ اليهودى مملوء بالزيجات المختلفة، وكان هناك قانون يُوجب على المرأة التى مات عنها زوجها دون ولد أن تتزوج من أخيه، وكان الطلاق حقًّا خاصًّا للمرأة فى حالات مُعيّنة، فكان العبرى يستطيع طلاق زوجته بمجرد نطق العبارة التالية (هذه المرأة ليست زوجتى وأنا لست زوجها)، وجرت العادة بكتابة رسالة طلاق، ويفرض سفر التثنية قيودا معيّنَة على حق الطلاق قاصداً فى وضوح إلى حماية نظام الزواج وتدعيمه، فالرجل الذي يتهم عروسه ظلما بانها ليست عذراء لا يكتفى بتغريمه، ولكن يمنع نهائيا من طلاقها فى أى وقت من الأوقات، وكذلك الرجل الذى يغتصب عذراء لم تتزوج يُجبر على الزواج منها ولا يستطيع طلاقها أبداً وكانت عقوبة الزاني الموت رجماً، ومعه المرأة التي زنى بها وإن كان الزنى برضاها، وكانت المرأة تُبجّل عظيما ولاسيّما إذا كانت أمّا، وفى الوصايا العشر (أكرم أباك وأكرم أمك) دون تمييز بين الوالدين(٢).

هذا بالإضافة إلى بعض القوانين الأخرى التى تحكم المواريث.

---

(١) الحضارة الإسلامية القديمة ص١٥٦ (موسكانى) ترجمة السيد يعقوب بكر.

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

يستدل مما تقدم على أن التشريعات اليهودية فى مجملها تشريعات وضعية من قول البشر. وهو ما يؤكد تماما على أن التوراة الحقيقية إما حُرِّفَت أو أتلفت عمداً لأنهم كما هو ثابت عنهم يُحرِّفون الكلم من بعد مواضعه بالتبديل والتحوير والحذف والإضافة.

هذا ويرجع نسب العبرانيين إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام. أما الإسرائيليين فيعود نسبهم إلى يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم بن ناحور المنتهى نسبهم إلى سام بن نوح عليه السلام.

وقد كفر بنوُ إسرائيل أشنع الكفر، واعتدوا أشنع الإعتداء، وعصوا أبشع المعصية، وكان لهم فى كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل[١].

والثابت أن ليس لليهود حضارة خاصة بهم، فما كان لديهم من عادات وحكمة وأقوال تطورت فيما بعد إلى مبادئ وقيم ليست إلا من أصل الحضارة المصرية، حتى الوصايا العشر أصلها مصرى.

ولما أراد اليهود لتلك الحضارة أن لا تكون مصرية ظهر زيفهم وكذبهم وادعائهم، فمن عاش من بنى إسرائيل خارج مصر لم يكونوا إلا رَحْلا رعاةً لا ذكر لهم أو مستضعفين، وقد أبادهم الرومان إبادة كاملة سنة ١٣٥م.

كما سباهم الملك البابلى ونكل بهم أعظم تنكيل وحملهم إلى العراق أسرى يعاملون كعبيد.

وأما (موسى) النبى فأصله مصرى، ومعناه فى اللغة «ابن الماء» أو (الطفل المنتشل من الماء)، كما أن عالم النفس الشهير فرويد لا يكتفى بأن اسم موسى مصرى بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك إلى أنه مصرى الجنسية[٢] حتى قضية التثليث والثالوث التى قالوا بها مصرية الأصل.

ويشهد التاريخ على لسان الجغرافى المؤرخ الفيلسوف (سترابون) أن اليهود أفاقون مغامرون لصوص فُهم لا يُبالون بالقيم، واتخذوا من الدين اسماً وطرحوا فضائله وقيمه وأخلاقياته، فلا يتذكرون ذلك الدين إلاّ إذا أرجعوا إلى القدس والمعبد، لكنهم لا يخجلون من خطاياهم فإنهم لا يُبالون أن تكون مدينة القدس قلعتهم مقر الطاغية، ولكنهم فى نفس الوقت يُكنّون لها احتراما لقدسيتها كمكان مقدس[٣].

---

(١) قصص الأنبياء ابن كثير ص ٣٧٢.

(٢) التاريخ والحضارة فى بلاد الشرق القديم ص ١٢٥.

(٣) تاريخ اليهود القديم بمصر. ط أولى ص ٢٦، ٢٧. عبدالمحسن الخشاب.

وقد ظهر بين اليهود أنبياء كثيرون أرسلهم الله إليهم من بينهم (موسى، وهارون، يوشع، الياس، اليسع، شعويل، داود، سليمان، زكريا، يحيى) وغيرهم.

ويرجع السبب فى إرسال هذا العدد الكبير من الأنبياء إلى كثرة عصيانهم ونقضهم العهود والمواثيق مع أنبياء الله ثم رجوعهم أكثر من مرة إلى الكفر، وقتلهم الأنبياء بأبشع أنواع القتل، فكانت حياتهم مليئة بالأحداث المريرة والتي أخبرنا القرآن الكريم عنها فى غير موضع.

كما يرجع السبب فى كراهية شعوب العالم للشعب اليهودى. إلى أن اليهود شعب لا يعرف إلا الأنانية الجامحة الجشعة الشرسة، والطموح الضال، والطمع الأثيم، والاستيلاء بغير حق، واستباحة السرقات، والسلب، والقتل، وبث الرعب فى الآخرين، وإطلاق يد غير الأمناء المسحورين فينهبون ويستحوذون على كل ما تمتد إليه أيديهم، ثم يستولي عليهم الخوف فيبدأون بالهجوم والإعتداء ويسرقون فى أنانيتهم الضالة الشاذة، فتستعر فى نفوسهم نشوة الإمتلاك للأرض والمال والرجال يستلذونهم عبيدا أذلاء مما يتيح الفرصة لإنطلاق اللصوص ذوى الضمائر الخربة، والنفوس الوضيعة لخدمة الطغاة، وإرضاء أحلامهم وأطماعهم وشهواتهم، واستيلائهم على ممتلكات الغير، ومنذ القديم يناصبون العداء لأصحاب الأرض الأصليين (الكنعانيين). كما اعتدوا كذلك قديما على سوريا واجتاحوها وقد تكرر ذلك منهم عام ١٩٦٧ .

وتشير معظم الآيات إلى حقيقة تاريخية تؤكد على أنه لم يشهد تاريخ أمة ما شهده تاريخ بنى إسرائيل من قسوة، وجحود، واعتداء، وتنكُّر للهداة فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم، وهى أشنع فِعْلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين.

وقد بين الله تعالى للمسلمين فى عهد رسول الله ﷺ أن لا يأملوا فى اتباع اليهود طريق الهداية والحق، وذلك لأنهم قد دابوا منذ القدم على الكذب والتحريف كما قال تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة : ٧٥] .

أى أنه لا أمل فى هدايتهم بعد كل ما فعلوه من الذنوب وما اقترفوه من الآثام.

ويُؤكّد المؤرخون أن الطائفة اليهودية عاشت أزهى عصورها فى فترة الإحتلال الفرنسى لمصر ١٧٩٨م . وحتى قيام دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨م. حيث ذكر «حابين كوهين» فى كتابه (يهود الشرق الأوسط): أن مستقبلاً مشرقاً بدأ لصالح اليهود عندما استولى (بونابرت) على البلاد عام ١٧٩٨ . حيث أصدر مرسوما يعترف فيه

لجميع السكان بما فيهم اليهود .. بحقوق متساوية . وبذلك كانت الطائفة اليهودية فى مصر من بين الطوائف اليهودية فى الشرق، والتى تمتعت بهذا الحق[١].

ومن الجدير بالذكر أن الأحزاب السياسية تلعب دوراً متميزاً فى التاريخ السياسي للحركة الصهيونية، وفى الحياة السياسية لإسرائيل، إذْ لعبت تلك الأحزاب دوراً بارزاً فى قيام إسرائيل وتبرز أهميتها من عدة جوانب: أهمها:

- أنّها تُعتبر أول المؤسسات فى خلق وإعداد القيادات السياسية، كما أنها تشكل أحد أهم مراكز صنع القرار السياسية فى إسرائيل، وتَنظر تلك الأحزاب لنفسها على أنها مُمثِّلة لأكثر من جانب من جوانب الحياة داخل المجتمع الإسرائيلى، وليست مجرد جماعات تعتنق مذاهب سياسية، أو اقتصادية، أو اجتماعية فحسب وهذا يعنى أن أنشطتها تمتد إلى جميع أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المجتمع، ويمتد نفوذ هذه الأحزاب ليشمل المؤسسات العسكرية الإسرائيلية أيضاً.

مما تقدم يتضح أهمية وخطورة الدور التربوى الذى تلعبه الأحزاب السياسية بالنسبة للفرد الإسرائيلى سواء فى ذلك الناحيتين المدنية والعسكرية، ويتدرج التقسيم الطبقى للأحزاب السياسية الإسرائيلية إلى أحزاب سياسية، وأحزاب عمالية .

أولاً: الأحزاب السياسية الرأسمالية العلمانية : مثل حركة حيروت وتمثل التيار الإصلاحى فى الحركة الصهيونية ومؤسسها مناحم بيجين، وحزب الأحرار وحركة العمل الرسمية (لعام) ويتلخص دورها فى استعادة الأرض المحتلة - أى - طرد الفلسطينيين وإقامة دولتهم العسكرية للإنطلاق نحو تَحْرير الأراضى الإسرائيلية الواقعة بين نهرى النيل، والفرات.

٢- الأحزاب الرأسمالية الدينية: وتشمل احزب «الدينى القومى» الذى تبنى قضية الدين وتشكيله للجزور القومية، ومحاربة العلمانية بين الصهاينة، وحزب «أغودات» يسرائيل، وحزب (بوعالى أغودات) يسرائيل. والذى تبنى قضية الدفاع عن حقوق العمال اليهود المتعصبين وتنظيمهم عن طريق تحقيق تعاليم التوراة والعدالة الدينية .

ثانيًا: الأحزاب العمالية :

وتشمل حزب العمل (مباى) ومن أهم مؤسسيه (غولدا مائير، وموشى ديان)،

---

(١) الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية فى مصر ص ١١ سهام نصر .

وظل هذا الحزب هو الحاكم منذ قيام إسرائيل وحتى يونيو ١٩٦٧ ، بالإضافة إلى بعض الأحزاب الأخرى غير المؤثرة.

إلى جانب ما تقدم فهناك بعض القوى السياسية غير الحزبية وهى موجودة بقوة على الساحة السياسية فى الداخل الإسرائيلي وتسمى (جماعات الضغط)، وتنقسم إلى ثلاث مجموعات رئيسية هى :

١- المجموعة الأولى : وهى القوى الصهيونية المعتدلة والتى تطلق على نفسها صفة اليسار الصهيونى.

٢- المجموعة الثانية : وهى القوى الصهيونية المتطرفة التى تمارس النشاطات الإرهابية ضد السكان العرب.

٣- المجموعة الثالثة : وهى القوى السياسية الإسرائيلية والتى تعتبر نفسها معادية للصهيونية[١].

* * *

٢ - التربية والتعليم عند الإسرائيليين

بدأ اهتمام الحركة الصهيونية بالتربية والتعليم لأبناء اليهود المهاجرين إلى فلسطين فى مطلع القرن العشرين بعد صدور وعد بلفور فى نوفمبر ١٩١٧ ، حيث تم إنشاء العديد من المدارس المدعومة من المنظمة الصهيونية العالمية، وفى الفترة من (١٩٢٠ : ١٩٢٦) تم تنظيم التعليم اليهودى فى فلسطين بحيث أصبح نظاما مستقلا عن أنظمة الدولة، وفى الفترة ذاتها بدأت الدعوة لإنشاء جامعة عبرية فى فلسطين، وقد تأسست فى القدس عام ١٩٢٥ ، وفى عام ١٩٥٣ صدر أول قانون للتعليم، والذى يخضع التعليم فى إسرائيل إلى الحكومة .

بينما يهدف التعليم فى إسرائيل بموجب القانون الجديد إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الاستراتيجية من أهمها :

إرساء الأسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم، وعلى محبة الوطن، والولاء للدولة، وللشعب اليهودى، وعلى ممارسة الأعمال الزراعية والحرفية، كما يهدف إلى وجود رواد للقيام بهذه المهام من جانب، ومن جانب آخر للعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادئ الحرية والمساواة والتسامح والتعاون ومحبة الجنس البشرى - وقد جاء فى خطاب وزير الثقافة الإسرائيلى [يغتال آلون] أمام الكنيست الإسرائيلى عام ١٩٧٠ بوضوح تام التأكيد على أهمية دور جهاز التعليم بقوله: (إن

---

(١) قراءات فى التأهيل التربوى للمعلم - دراسات منفصلة ص ٨٣ .

جهاز التربية والتعليم فى بناء القيم فى المجتمع الإسرائيلى دور حاسم فى قدرتنا على الثبات، وخاصة قدرة الجيل الشاب على تحمل العبء الكبير الذى ألقاه عليه التاريخ اليهودى المعاصر ... إن تعميق معرفته وتضامنه مع تلك الفترة الجيدة فى أرض إسرائيل التى سبقت قيام الدولة، وعندما يتعمق سيعلم جيداً من أين جئنا، ماذا كان هنا قبلنا، لماذا نحن هنا، وإلى أين نتجه؟!)

أما مضمون البرامج التعليمية التربوية فى الكيان الإسرائيلى فإنه يؤكد على تعميق الوعى اليهودى بين الشباب، وترسيخ جذورهم فى ماضى الشعب اليهودى، وعلى تقوية العلاقات الأخلاقية التى تربط بين هؤلاء الشباب وبين اليهود فى العالم، وعلى اعتناق الأيديولوجية الصهيونية إذ أنها تفرض عليه بشكل مباشر، ثم اختيار أفضل الأساليب لتلقين الشباب هذه المبادئ وأيضا تتضمن البرامج «تربية دينية يهودية» تساعد على تنمية الأهداف السابقة.

* * *

٣- الأنشطة عند الإسرائيليين

تتنوع الأنشطة الشبابية داخل المجتمع الإسرائيلى تنوعا ملحوظًا وتحظى باهتمام بالغ لما لَهَا من أهمية قُصوى فى تشكيل التركيبة الثقافية والفكرية والعقائدية لدى الشباب الإسرائيلى بوجه عام إيمانا منهم بأن وجود إسرائيل «الوطن القومى» مُرتهن بقوة التمسك بالعقيدة الصهيونية، ومن ثم الدفاع عنها بكل الوسائل والأدوات، ومن هنا فإنها تُعينُ الشباب فى كل المراحل السِّنية، وعند كُلِّ الظروف، وفى مختلف الأماكن والمناسبات لزرع وغرس المفاهيم وتنميتها ورعايتها ومن أهم هذه الأنشطة :

(أ) النشاطات الشبابية : تحاول الأحزاب السياسية عن طريق النوادى الثقافية ومعاهد الشباب التحكم فى عقول الطلبة فى أوقات فراغهم بإقامة المحاضرات والندوات الدراسية في مجال التوعية الصهيونية وبخاصة فى المدارس الثانوية فضلا عن دور وسائل الإعلام الحزبية، مما يخضع الشباب منذ حداثتهم لجهاز كبير ومتشعب للتربية والتثقيف الموجه لاستيعاب مبادئ الصهيونية.

(ب) النشاطات الكشفية والرياضية : وتعتنى بها الأحزاب عناية فائقة بهدف توثيق علاقات الشباب بها من ناحية وتنمية الروح الشبابية من ناحية أخرى، وتتضمن النشاطات الكشفية تنظيم الرحلات الجماعية لبعض المناطق السياحية والأثرية فى إسرائيل، وكذلك إلى المناطق اليهودية المقدسة بهدف زيادة تعلقهم بالأرض التى يعيشون فيها بالإضافة إلى الأعمال الأخرى.

(جـ) النشاطات الزراعية التطوعية (الكيبوتس) : نشأ الكيبوتس مع موجة الهجرة الثانية إلى فلسطين ١٩٠٤ : ١٩١٨ ، والتى تكونت من يهود روسيا الذين تأثروا بالمبادئ الإشتراكية، وعادة فإن كل « كيبوتس » يتألف من مجموعة سياسية واحدة يضمها اتحاد يتبع لحزب سياسى معين، ولعبت هذه الأحزاب دوراً بارزاً فى تخريج القادة السياسيين العسكريين، وأيضاً تقديم العون للمهاجرين وفى المشاركة الإرهابية.

ويضم كل كيبوتس مدرسة إعدادية، ويتعرض النشء الإسرائيلى لتوجيه محدد يبدأ من مرحلة الحضانة حتى نهاية الدراسة الإعدادية مروراً بالمنافسات التى تتم بين أعضاء الكنيست التابعين للأحزاب.

(د) النشاطات شبه العسكرية (الناحال) : أنشىء عام ١٩٤٨ بعد قيام اسرائيل وهى تعنى « طليعة الشباب المقاتلة » وهى إحدى مؤسسات الجيش الإسرائيلى الذى يقوم بإعداد الكوادر للاستيطان الزراعى، فبعد أن يقضى العضو نصف فترة خدمته الإلزامية بالجيش تُتاح له فرصة الإستيطان الدائم على الحدود العربية المشتركة، وعضو « الناحال » هو جندى تحت التمرين يرتدى زيا عكسريا، ولكنه يعمل فى الزراعة.

(هـ) النشاطات الإستيطانية : تعتبر مسألة الإستيطان أبْرز وأهم القوى المحركة للحركة الصهيونية منذ بدايتها حتى اليوم، ويتضمن الاستيطان معانى أبعد من مجرد الاستيلاء على الأراضى الفلسطينية، إنما يحمل فى طياته قيماً مثل الريادة، نكران الذات، العمل الجماعى، الإستعداد للتضحية، الإنتاج... إلخ.

وهناك قيم تربوية تسعى إليها الأحزاب عن طريق غرسها فى نفوس المستوطنين الصهاينة منها الإيمان بالملكية القومية للأرض، الإيمان بالتوزيع العادل للمصادر الطبيعية بين جميع المستوطنين لتعميق الأخوة (اليهودية والصهيونية) بينهم، والإيمان بأهمية الاستخدام الذاتى لهم، والإيمان بالتنظيم والعمل التعاونى.

(و) النشاطات الإرهابية : يقترن تاريخ الأحزاب والقوى السياسية الإسرائيلية بالتاريخ السرى والعلنى للإرهاب الصهيونى بعينه، حيث بدأ تاريخ الإرهاب فى الثلاثينيات من القرن الماضى، مروراً بقيام إسرائيل والجيش الإسرائيلى الذى يُعتبر تجمعا لحركات إرهابية محترفة ومختبرة.

وأبرز القيم التربوية التى تعمل الحركات الإرهابية على غرسها فى نُفُوس أتباعها تتمثل فى التعصب الدينى واللامبالاة الأخلاقية، والولاء المطلق للقائد والعنصرية والشُّوفينية.

* * *

٤- آثار الأفكار الحزبية والقوى السياسية الأخرى على الفرد الإسرائيلى:

إن ما نعنيه بالآثار: هو عرض نتائج الدور المؤثر والمتميز للأحزاب السياسية ومدى مساهمات القوى السياسية الأخرى فى تشكيل العقيدة الإسرائيلية، ومن ثم فإنها تستلزم عرضا للمفاهيم والقيم والإنطباعات الناتجة عن عمل الأحزاب والتربية والتعليم، والأنشطة المتنوعة، والقوى السياسية (جماعات الضغط) فى الداخل الإسرائيلى، والتى تُشكل أنماطًا لفكر وسلوك الأفراد والجماعات فى المجتمع الإسرائيلى على مختلف مستوياته الاجتماعية، والاقتصادية: والدينية والسياسية والعسكرية: وهى كما يلى:

أولاً: التمسُّك الشديد بالتعاليم التوراتية، وتتمثل هذه التعليمات فيما يلى:

١- الاعتقاد بأن قيام إسرائيل هو تحقيق للنبؤة التوراتية وذلك بإقامة مملكة يهوذا فى فلسطين بعد هدم الهيكل (المسجد الأقصى).

٢- الاعتقاد بأن هدم الهيكل والمذابح النازية كلها تعبيرات عن حقد الإنسانية للشعب اليهودى كونه شعبا مختاراً.

٣- أنه لا أمل بخلاص اليهود من الحقد والتآمر إلا من خلال عودتهم من الشتات وتجمعهم فى (أرض المعاد) والتى يُعيدون فوقها بناء دولة مزدهرة قوية.

٤- أنه لا يمكن لهذه الدولة أن تبقى على قيد الحياة إلا بتحقيق التفُّوق التام فى المجالات العلمية والتكنولوجية والعسكرية ضد الشعوب العربية المُعادية، وأن بقاء هذه الشعوب فى حالة تخلف يضمن البقاء لإسرائيل.

٥- أن الدين اليهودى هو الرابطة الثقافيّة الأساسية والقوِّية بين مختلف التجمعات الإثنية والاجتماعية اليهودية فى مناطق الشتات، وهو التعبير عن الهوية الذاتية المشتركة لليهود، وبالتالى فإنه لا يمكن لإسرائيل إلا أن تكون دولة دينية قائمة على تعاليم التوراة .

ثانيًا: الإحساس بالهوية والقومية وتتمثل في:

- رَفْض الإندماج التام والنهائى فى أى مجتمع من المجتمعات الأجنبية .
- رفض التخلى عن الجنسية الإسرائيلية، بل الاحتفاظ بها حتى ولو اختار الفرد الإسرائيلى أن يحصل على جنسية دولة أجنبية.

ثالثًا : التعصب للعقيدة اليهودية وتتمثل فى :

– الاعتقاد بأن الصهيونية هى عقيدة إنسانية وهى تعبير عن حركة إحياء وانبعاث حضارى وفكرى للشعب اليهودى.

– أن الحركة الصهيونية هى حركة تحرر وطنى للشعب اليهودى.

– أنه لا يمكن تصور قيام واستمرار وجود اسرائيل « لا صهيونية ».

رابعًا : الولاء المطلق للكيان الإسرائيلى ويتمثل فى:

– رفض مبدأ المساومة على أمن إسرائيل وحدودها تحت كل الظروف والإعتبارات .

– التشكيك فى كل مساعى السلام لتسوية الصراع العربى – الإسرائيلى من أى جهة لأنها تنطوى على عناصر المساومة، والتى سوف تجعل إسرائيل تُقدّم بَعْض التنازلات للأقطار العربية.

– رفض التنازل عن أى جزء من الأرض العربية التى احتلتها اسرائيل فى حربها الخاطفة فى عام ١٩٦٧ واعتبار أن إسرائيل لم تحتل هذه الأراضى بل إستعادتها وحررتها من أيدى العرب.

خامسا : الإيمان المطلق بفكرة التمايزوالتفوق العنصرى: وهو نابع من التعاليم التوراتية والذى يؤكد على ضرورة الإيمان الراسخ بالمقولة التوراتية بأن اليهود هم شعب الله المختار.

سادسًا : الشعورُ بهاجس الإبادة : حيث تحاول الأحزاب الإسرائيلية تصوير تاريخ اليهود بأنه سلسلة من أعمال التضحية والبطولة فى مقاومة محاولات إبادتهم كشعب بدءاً من السبى البابلى مروراً بالعداء للسامية والمذابح النازية، وانتهاءً بالخطر العربى المتمثل بالسعى [لرمى إسرائيل فى البحر] وهذه المقولة تحفل بها مناهج التعليم المختلفة هناك، والغرض من ذلك هو حمل الفرد اليهودى داخل إسرائيل وخارجها على التضامن والتلاحم مع أخيه اليهودى أينما كان طالما أن الجميع مستهدفون فى حياتهم ومصيرهم.

سابعًا : الاستعداد الدائم للحرب ويتمثل فى :

– الإيمان بأن المجتمع الإسرائيلى لا يمكن أن يكون مجتمعا مدنيا خالصا كغيره من المجتمعات بل هو مجتمع عسكرى بالمعنى الكامل للكلمة .

– الإيمان بأن الدفاع عن أمن اسرائيل وبقائها هو واجب مقدس ملقى على عاتق كل يهودى ويهودية من أولئك القادرين على حمل السلاح سواء كانوا داخل اسرائيل أو خارجها.

ثامنًا : الإنجزاب للممارسات الإرهابية وذلك للاعتبارات الآتية :

– الإيمان بأن التطرف الدينى والشيفونية – القومية – هي مظاهر صحيحة وسليمة لا تتناقض مع رسالة اليهودية كدين، والصهيونية كعقيدة وحركة.

– أن اللامبالاة الأخلاقية فى التعامل مع العرب هو أمر طبيعى بإعتبارهم أعداء، ويندرج تحت هذه اللامبالاة : القتل العمد، الإعتداء بالضرب والتشويه الجسدى، تدنيس الأماكن المقدسة ... إلخ .

– النظر إلى كل مواطن عربى فى الأرض المحتلة (من شرق النيل إلى غربىّ الفرات) على أنه مغتصب لجزء من الأرض الإسرائيلية يجب معاقبته وطرده.

– الإيمان بالمحافظة على الكراهية والحقد ضد العرب، كون ذلك أمرًا ضروريًا لإبقاء جزوة الحماس لدى الشباب بوجه خاص فى التصدى للأعداء والاستعداد للقضاء عليهم بكل وسيلة ممكنة .

* * *

وأقـــول

مؤكدا على وجوب ضرورة عقد مقارنة بين مقومات وجود الكيان الوليد فى فلسطين المحتلة المسمى (إسرائيل) بما يحمل فى يقينه من عقيدة راسخة وإرادة جبارة، واهتماماته فى ظل إمكانياته الهائلة على تنشئة أجياله المتعاقبة على محبة الوطن، وولائه، والإنتماء له، والدفاع عنه من منطلق اليقين بأن الدفاع عن أمن إسرائيل واجب وطنى ودينى وأخلاقى وتربوى مقدس، وكذلك نُعمل مقارنة لدراسة أسلوب عمل الأحزاب السياسية الإسرائيلية وقوى الضغط المحلى، والأنشطة الشبابية والتربوية والتعليمية التي جعلت من المجتمع الإسرائيلى مجتمعا عسكريا فريداً بالمعنى الكامل للكلمة، ومغايراً للمجتمعات المدنية فى العالم من مقاومة الخطر العربى الساعى (لرمى اسرائيل فى البحر) بل وإجهاضه بالهجوم على دياره وأوطانه أولا بأول، مع تدريس تلك النظرية فى مراحل التعليم المختلفة داخل إسرائيل – وهى مقارنة واجبة أن تكون بالمقارنة مع الواقع العربى الذى بات أقل حرصاً على الدفاع عن وجوده، وأضحى عاجزاً تماماً ومُتشرْذماً أمام ابتلاع الصهيونية لفلسطين، وإعلان قيام دولة إسرائيل على الأراضى العربية تمهيداً للزحف نحو إقامة إسرائيل الكبرى، وقد استطاعت إسرائيل السيطرة على أرض عربية ما بين مصرية خالصة مثل قرية (أم الرشراش) التى أقامت عليها إسرائيل فيما بعد الميناء الوحيد لها علي خليج العقبة والمعروف حاليا ميناء (إيلات) بالإضافة إلى جزر استراتيجية عند مدخل خليج العقبة.

ثم بدا العرب عاجزين متخاذلين أمام الهجمة الشرسة التى قادتها الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية العالمية بمشاركة بريطانية خالصة على العراق، والتى انتهت بسقوط الأخيرة كما سقطت فلسطين فى ظروف متشابهة تمامًا من حيث التدخل البريطانى الأمريكى المباشر، وكذلك من حيث استمرار المقاومة الشعبية التى لا ولم ولن يشأ الشعبان العراقى والفلسطينى لها أن تتوقف حتى الغد وكذلك من حيث التآمر والخيانة والموقف العربي العام المزرى، والمتخلف عن إدراك الحقائق والتعامل مع الواقع الذى بات يكيد لنا فى خندق التآمر للإنطلاق نحو ثلاثة عواصم إسلامية هى أولا الرياض ثم طهران ، ودمشق وإن سقطت واحدة فالتالية على إثرها قريب.

وما أظن ذلك كائنا إلا بسبب انغماس المسلمين فى الملذات والشهوانيّة، والانحراف نحو الهوى والإعراض عن حبل الله المتين والميل إلى طرق الفساد والسير فيها على دروب نوادى الڤيديو، وصالات البلياردو، والفضائيات (وما أَدْراكَ ما هيه). والتخلف عن التجنيد ومحاولا الهروب منه، واندثار الوعى، وزيوع الجهالة الدينية والأمية السياسية ، وإفتقار الصلة بين الحاكم ورعيته ، وتمرد المحكومين علىَ حكامهم. ثم ما يكون من بعض الحكام فى قمع شعوبهم وما يترتب على ذلك من استخدام القوانين الاستثنائية ، وتشديد القيود على الحريات والحقوق العامة.

ومع الرغبات المتنامية فى التطلع إلى الحرية وترسيخ الديمقراطية وحكم الشعب بالشعب وللشعب ومحاربة سلطة الفرد المطلق، ومع استمرار حكم لفرد فى قمع جماهيره يتأجج الصراع الذى لا يستفيدون منه غير أعداء الأمة، والمتربصون بها المريدون بنا السوء والإلقاء فى نار الجحيم.

* * *

ثالثًا : نشأة الدولة الإسلامية

بعد أن هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة عُنى ﷺ بالإتفاق مع اليهود الذين كانوا يقيمون معه فى المدينة المنورة، فعقد معهم وثيقة تاريخية تضمن كفالة الحريات العامة، وحرية الرأى، والعقيدة، وتضمن كذلك وترعى حرمة الحياة الخاصة للرعايا فى النفس والمال، كما تضمنت الوثيقة تحريم الجريمة بكافة أشكالها وألوانها وتشريع العقوبات الرادعة للمخالفين، كما أكدت على العدالة والمساواة فى الحقوق والواجبات بين سكان المدينة على اختلاف عقائدهم، ونصت كذلك على أن أى خلاف يُرد إلى الرسول ﷺ شخصيا للفصل فيه وبهذا التزم سكان المدينة بالدفاع عنها والتصدى للمغيرين عليها ودرء الاعتداءات عليها بالنفس والمال.

ومن هنا تَحققت فى المدينة المنورة كل مقومات الدولة التى يحتّمُهَا القانون من شعب وأرض ذات حدود ونظام يَسُود.

وقد أفسح هذا الاتفاق المجال أمام نشر الدعوة الإسلامية التى وضعَت أساس حضارة عظيمة قدمت للعالم أجل الخدمات، وأعظم الإبداعات وهى: الحضارة الإسلامية التى قامت على دعامتين أساسيتين:

أولاً: القرآن الكريم: الذى أُحكمت آياته ثم فُصّلت من لدن حكيم خبير، شرع الله تعالى فيه الأحكام العامة، وفرق بين الحلال والحرام بما يضمن السعادة للبشرية دينا ودنيا، كما أن فيه هدى للناس، وتطهيراً لما فى قلوبهم، وفيه القواعد الصالحة لقيام المجتمع المتكامل الفاضل: والتذكير الدائم بيوم العرض والحساب، وهو المرجع حين الاختلاف، وهو الإعجاز الذى يقبله العقل.

وفيه أخبار الغابرين أمثالاً للحاضرين، وقد كُتب له الخلود بخلاف غيره من معجزات الأنبياء والرسل (عليهم جميعا الصلواة وأتم التسليمات) التى باتت فى ذمة التاريخ ولم يبق منها إلا اسمها.

ومبادئ القرآن الكريم عامة وشاملة بحيث تتلاءم دوما في تطورات الحياة وظروفها التى تتغير بتغير الزمان والمكان. لقوله تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٣٨].

ثانيًا: السنة النبوية الشريفة

وهى جملة ما صدر عن الرسول ﷺ من أقوال، وما جاء به من أفعال، وقد منح الله تبارك وتعالى للرسول ﷺ حق بيان ما كان مُجْمَلاً وتفسير ما كان مُشْكلاً من القرآن الكريم، وتحقيق ما كان فيه إشكال، أو ما صار محتملا – فصارت بذلك السُنّة النبوية بيانا للأصل الوارد فى القرآن، وهو ما يبينه الذى لا ينطق عن الهوى عند قوله ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم لأخلاق).

وقضت الأحكام الشرعية بالنفى المطلق لحق أى حاكم وكذلك نهيه القطعى عن أن يفرض على الناس أيًّا كانت عقيداتهم غير ما فَرَضَ الله تعالى فى شريعته.

كما بين الرسول ﷺ أن المسلمين أمام الله سواء لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى، كما أنه أكد على أن لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

وهكذا آخى الدين الإسلامىّ بتعاليمه بين أتباعه من العرب وغيرهم مؤاخاة لم يعرفوا مثلها من قبل، وأعاد تشكيل ثقافاتهم جميعا بما جعلهم يفتدون بالنفس والمال

والأهل والولد، وبكل عزيز فى سبيل نشر الدين الإسلامى فى زوايا العالم الأربع ليصوغ للبشرية حقوقها الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية.

وقد عملت الدولة الإسلامية الأولى فى عصر الخلفاء الراشدين «رضوان الله تعالى عليهم أجمعين» على تحقيق هذه الأبعاد، ووضعها موضع التنفيذ.

وبقيام الدولة الأموية حَدث تحول خطير فى نظام الخلافة الإسلامى، حيث تحولت إلى نظام ملكى استبدادى، بسبب أن بنى أمية لم يتقيدوا بما كان يتقيد به الخلفاء الراشدون، فقد نقل معاوية بن سفيان نظام الخلافة إلى نظام الملك القائم على التوريث كما هو الحال فى الأردن والمغرب والسعودية وأخيراً «البحرين» ودول الخليج وسابقا مصر وليبيا وتونس.

وقد تمتع الخلفاء الأمويون بمظاهر الأبهة والعظمة الذى كان يتمتع بها الملوك والقياصرة[1]، ونقلوا عاصمتهم من المدينة المنورة إلى دمشق فى سوريا. وقد تميزت تلك الدولة بالوحدة ولم تعتمد على أى عناصر غير عربية، وأمسكت بيد من حديد على جميع الأقاليم التابعة لها من الشرق إلى الغرب حتى أسبانيا والبرتغال، وبذلك نمت بذور العصيان والتمرد بسبب عدم المساواة، والتعامل بأسلوب عربى أرستقراطى شامخ الأنف وهو مالا يعنى السلامة فى الحكم على الدوام.

ثم انتقلت الخلافة إلى العباسيين الذين بدأو دورهم الأول سنة ١٠٠ : ١٢٧هـ تقريبًا، وجعلوا لها مركزين أساسيين فى (الكوفة، وخراسان) للإنطلاق بالدعوة إلى هنا وهناك.

ولما بُويع أبوجعفر المنصور بالخلافة عام ١٣٦هـ. وجلس على كرسى الخلافة ٢٢ عاما أخذ يوطد دعائم خلافته ويرفع بُنايَتَها، ويضرب بشدة على أيدى الخارجين أو العابثين بها، ومن تسول له نفسه منافسته فى الحكم، وقد نجح فى مركزية السلطة، والقبض عليها بيد من حديد.

ويعاد إلى الخليفة العباسى (أبوجعفر المنصور) الفضل فى بناء بغداد لتكون حاضرة العباسيين الكبرى حتى صارت مظهر عزهم وفخرهم وحضارتهم، وقد انتقل إليها من الكوفة سنة ١٤٩هـ (٧٦٢م) وقد اكتمل بناؤها فى ١٥٠هـ، ٧٦٣م.

ومات المنصور فى السادس من ذى الحجة سنة ١٥٨ بعد أن خرج إلى مكة للحج، ومرض فى الطريق، وما أن دخل مكة حتى اشتد عليه المرض، ولما مات دُفن

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ص ٦٢.

بثنية (المعلاّة) مكشوف الرأس كونه محرما، وقد حُفر له مائة قبر ودُفن فى غيرها ولهذا فقبره غير معروف حتى الآن[١].

ولم تلبث الدولة العباسية أن تعرضت لحركات تمرد وعوامل ضعف داخلية مثل تمرد الفرق الإسلامية من (العلويين، الخوارج، المعتزلة)، وعوامل أخرى خارجية مثل تمرد الفُرس والأتراك والصفّاريين، والسلاجقة، والبويهيين، بالإضافة إلى تدخل العناصر الأجنبية، وما كان لها من آثار خطيرة، أثرت على حياة الدولة سياسيا حتى باتت عاجزة عن التصدى للهجمة المغولية الشرسة الزاحفة من الشرق بقيادة هولاكو الذى تمكن من حشد جيوشه حول بغداد العاصمة فى ٦٥٦هـ. ويُقدّر بعض المؤرخين أن عددهم حوالي ٢٠٠ مائتى ألف بينما بغداد تموج بسكانها.

فى بداية الأمر رأى الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين حتمية اللقاء فخرج بجيش قليل مُدافعا بما تيسّر، وما أُتيح له، ولحقت به الهزيمة ثم سلّم نفسه، ونساءه، وأولاده، ورجال حاشيته إلى القائد المغولى الذى وضعهم فى السجن ثم قتلهم جميعا، ودخل المغول المدينة يقتلون وينهبون حتى كَادَ يَفنى كل سكانها، وجرت الدماء فى الطرقات، واصطبغت مياه دجلة بالدماء عدة أميال وقد استمرت هذه المعاناة القاسية حوالى أربعين يومًا اندلعت فيها ألسنة النيران فى كل جوانب المدينة حتى أكلت الأخضر واليابس والتهمت كل ما فى طريقها من معالم الحضارة المتعددة، وتم القضاء تماما على التراث الإسلامى، وعصارة الإنتاج الفكرى فى مدى (٥٠٠) عام فى أيام معدودات، وكانت تلك وبحق أفظع مأساة فى الأموال والأنفس والأولاد، وكنوز العلم والمعرفة التى أصيبت بها الإنسانية إلى هذا الزمان[٢].

ثم تعرضت بغداد من جديد وباقى مدن العراق الأخرى لهجمة تتارية جديدة جاءت من الغرب هذه المرة فى ربيع العام الثالث من القرن الأول فى الألفيّة الثالثة عندما جَيَّشَ الرئيس الأمريكى (جورج بوش) جيوشه وهى أعتى وأقْوى قوات العالم بفضل ما حازت من أسلحة حديثة تتمتع بتقنية فائقة، متحالفًا فى ذلك مع رئيس الوزاء البريطانى (تونى بلير) الذى أرسل (٤٠٠٠٠) أربعين ألفا من الجنود الإنجليز.

وقد بدأت قُوات التحالف المكتظة بالمرتزقة من جنسيات أخرى عند فجر الخميس ٢٠/٣/٢٠٠٣ بالقصف الجوى المركز، وتبعه زحف القوات البرية على

---

(١) الحضارة الإسلامية ص ٨٠، ٨١.

(٢) نظرات حول العصر العباسى الأول ص٢٠٦.

العراق من جهة الجنوب، ودارت معارك طاحنة على مشارف المدن العراقية وحولها، وانتهت بمأساة سقوط بغداد[1] في التاسع من إبريل ٢٠٠٣.

ووقعت العراق أسيرة إلى الآن تضيء ظلام ليلها تلك المقاومة العراقية البطلة التى شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء حتى قال قائد القوات الأمريكية فى العراق (لقد أدهشتنا دقة تخابراتهم ورصدهم للأهداف ودقة إصابتها وتفجيرها).

ولا يزال الاحتلال الأمريكى البريطانى جاسمًا على العراق (ولا تزال بطولات المقاومة تسجل أعمالها بأحرف من نور فى سماء الشرق شديد الليلاء).

وقد نتج عن سقوط بغداد فى ٦٥٦هـ. انتقال الخلافة الإسلامية من بغداد إلى القاهرة، وقد تميز العصر الذهبى للإسلاميين بأمرين هامين هما:

* * *

(أ) الأحداث العظيمة

يمكن القول بأن أحداثا مهمة حملت تأثيرات خطيرة ولها تداعيات ونتائج خطيرة فى عصر الدولة الإسلامية الأولى.

فقدتمكنت جيوش الفتح الإسلامى فى سنة ١٤هـ بقيادة سعد بن أبى وقاص من إحراز نصر فلكى الأبعاد على جيش فارسى ضخم بقيادة (رستم) وقد دارت المعركة فى وادى الفرات غرب الحيرة، وتواصلت لأربعة أيام قُتل فيها رستم، وأسفرت عن فتح العراق، وفتح أبوعبيدة بن الجراح دمشق بعد حصار دام نصف العام، وفتح قنسرين فى الشام، وفى حضور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب «استسلم بيت المقدس وفتح صُلحًا» فى سنة ١٥هـ. ، وفى عام ١٦هـ ألحق المسلمون بالفرس هزيمة ساحقة فى معركة «جلولاء» بالعراق، وكذلك فتحت تكريت والموصل- ثم استتب فتح (فارس) بفضل النصر الساحق علي الجيش الفارسى (١٥٠ ألف جندى) فى معركة نهاوند (فتح الفتوح) التى استشهد فيها القائد الإسلامى «النعمان بن مقرن»، وفى عام ٢١، ٢٢هـ أعادت الجيوش الإسلامية فتح همذان وفُتحت (الرى، قوموس، جرجان، أذربيجان، خراسان).

وقد تمكن أسطول الفتح الإسلامى بقيادة والى الشام معاوية بن أبى سفيان من فتح «قبرص» فى ٢٨هـ، وتمكن سعيد بن العاص من فتح «طبرستان» فى ٣٠هـ، وفى عام ٣٠، ٣١هـ فُتحت «هراة وبلخ» وفى ٣٣ هـ أكد معاوية فتح «قبرص» وجعل منها قاعدة بحرية للأسطول العربى فى البحر المتوسط، وفى العام ذاته تمكن الأسطول العربى

(١) تفصيل ذلك فى كتابنا : وحيد القرن ورياح التغيير.

بقيادة (جنادة بن أمية) من فتح جزيرة « رودس » المتحكمة فى الطرق البحرية المتجهة إلى قلب الإمبراطورية البيزنطية وفى عام ٣٤هـ دارت معركة « ذات الصوارى » التى تمكن فيها الأسطولان المصرى والشامى من إلحاق هزيمة ساحقة بالأسطول البيزنطى، وتحققت السيطرة العربية الكاملة على البحر المتوسط.

وفى الأعوام ٤١ : ٤٣هـ فُتحت أفغانستان، وتوجهت حملات إسلامية إلى آسيا الصُغرى ٤٣هـ: ٤٨هـ، وقد تمكن « الملهب بن أبى صفره » من فتح السند والأراضى الواقعة بين « كابول والملتان » وأضاف بذلك إلى رقعة الدولة الإسلامية مساحة شاسعة من آسيا عام ٤٤هـ.

وفى عام (٥٠هـ) تمكن عقبة بن نافع من فتح تونس وأسس القيروان (كقاعدة عسكرية للجيش الإسلامى، وخلال عشر سنوات هى المدة من ٨٦:٩٦هـ (٧٠٥ : ٧١٥) ميلادية استطاع قُتيبة بن مسلم أن يمضى كالسهم فاتحا (تركستان) وأوزبكستان، وبخارى، وسمرقند، وفرغانة، وخوارزم، قشغر، وقدتوقف عند حدود الصين. مدونا اسمه فى سجل أعظم الفاتحين فى تاريخ البشرية، وفى المدة ذاتها وابتداء من عام ٨٩:٩٦هـ تمكن القائد العظيم محمد بن القاسم من فتح (الديبل، وبيرون، والسند، ومُلتان وجزء من البنجاب) وسجل اسمه فى قائمة كبار الفاتحين، بينما طارق ابن زياد يسحق القوات القوطية بقيادة (لدريق، رود ريجو) فى معركة« وادى يكة » ويزحف منتصراً إلى العاصمة « طليطلة » ، وقد استغرق إخضاع إسبانيا سبع سنوات واستمر الحكم الغربى لأسبانيا كلها ٥٠٠ عام وللجزء الجنوبى منها ٢٨١ سنة أخرى.

وفى عام ٩٩هـ وأثناء احتضار الحكم الأموى فى دمشق، وقُبيل انتقال الخلافة إلى العباسيين فى بغداد، قامت فى شمال أسبانيا مملكة (أشتورية) المسيحية وقد صارت فيما بعد قاعدة للأسبان انقضُّوا من خلالها على الدولة الأموية فى الأندلس حتى تمكنوا من استعادة كل أسبانيا عام ١٤٩٢ .

أما والى الأندلس (السمح بن مالك) فقد زحف على « أكيتانيا » واستولى على « نربونة » ، « طرسكونة »، واستشهد فى معركة مع (دوق) أكتيانيا قرب « تولوز » بجنوب فرنسا فى ١٠٢هـ. وفى ١٠٦هـ توغل والى الأندلس (عنبسة بن سحيم الكلبى) فى إقليم « بورجوندى » الفرنسى وتوقف على بعد ١٦٠كم من باريس، وفى عام ١١١هـ تمكن المسلمون الأندلسيون من الإستيلاء على « أڤينون » بجنوب شرق فرنسا، وأغاروا على المناطق المجاورة لها.

وفى الشرق سقطت دمشق إيذانا ببداية العصر العباسى وإعلانا بإنتهاء حكم بنى أُمية فى سنة ١٣٢هـ.

* * *

(ب) الممالك والمهالك وعصر التناقضات

حيث موقع دولة «السنغال الحالية» قامت سلطنة «التكرو» الإسلامية فى الفترة ما بين ١٨٣هـ: ٣٨٣هـ (٨٠٠: ١٠٠٠م).

وفى عام ٢١٢ هـ (٨٢٧م) أغالبة تونس تسوق حملة بقيادة القاضى «أسد بن الفرات» للتوجه نحو «صقلية» وسقطت «بالرمو» فى ٢١٦هـ، و«سراقُوسه» (سيراكوزا) عام ٢٦٥هـ واكتمل فتح صقلية فى ٢٩٣هـ والحُكم العربى يدوم بها ٢٦٤ عاما، ثم فتح المسلمون جزيرة كورسيكا وخضعت هذه للحكم العربى مدة مائتى عام بعد فتحها في عام ٢١٨هـ. وفى ٢٥٦هـ توجه أسطول دولة الأغالبة فى تونس قاصداً مالطة وقد خضعت للحكم العربى ٢٢١ عاما.

وفى عام ٢٥٦هـ تأسست الدولة الفاطمية فى شمال إفريقيا، وفى عام ٣٥٧هـ «جوهر الصقلى» قائد جيش الخليفة الفاطمى «المعز لدين الله» يغزوا مصر ويؤسس مدينة «القاهرة».

وقد بدأت الفتوحات الإسلامية الرئيسية فى الهند انطلاقا من أفغانستان فى سنة ٣٩١هـ وانهارت أمامها الممالك الهندوسية، وفى العام ذاته ظهرت إمبراطورية (الكانم) الإسلامية فى الشمال النيجيرى.

وفى ٤٣٧هـ تأسست دولة (الصليحيين) فى اليمن وكانت موالية للخلافة الفاطمية.

هذا وقد قامت على أنقاض الدولتين العباسية فى الشرق والأموية فى الغرب كثير من الدول مثل دولة الصنهاجيين (بنى زيرى) فى تونس ٩٧١: ١١٦٧م، والدولة «الغزنوية» فى أفغانستان وأسسها التركى (ألب تكين) وعاصمتها «غزنة»، والدولة «البويهية» «الفارسية» ٩٣٢ : ١٠٥٥م، و«الحمدانية» فى حلب والموصل من ٨٩٢: ٩٩١م. وقد قضى عليها الفاطميون، و«الطولونية» فى مصر ٨٧٠م بقيادة أحمد بن طولون، و«الأغالبة» من ٨٠٠: ٩٠٩ وأسسها (إبراهيم بن الأغلب) فى شمال إفريقيا وهذه قضى عليها الفاطميون، و«الأدارسة» فى المغرب وأسسها إدريس بن عبدالله بن الحسن ٧٨٩: ٩٨٥، ودولة الرستميين وشملت قسماً كبيراً من الجزائر، ونصف تونس ومعظم ليبيا وعاصمتها (تاهرت) بالجزائر وهى دولة للخوارج الأباضية فى شمال إفريقيا ٧٦١: ٩٠٨م، ودولة «المهديين» فى اليمن ١١٥٩: ١١٧٤م، وقد قضى عليها «توران شاه بن أيوب أخو صلاح الدين»، ودولة «بنى رسول» وأسسها عمر بن على ابن رسول فى تَعز باليمن وقد اتسعت فيما بعد لتشمل كل اليمن والحجاز ثم قضى

عليها بنوطاهر ١٢٢٩ :١٤٥٤م، ودولة «الحفصيين» من ١٢٢٩ :١٥٧٤م وموطنها تونس وشرق الجزائر وطرابلس الغرب، ويعود نسب الحفصيين إلى البربر، وقد تمكن العثمانيُّون من القضاء عليهم، ودولة «بنى نصر» (بنى الأحمر) ١٢٣٢ :١٤٩٢ آخر ممالك الأندلس فى غرناطة وأسسها محمد بن يوسف بن نصر وسقطت فى أيدى الأسبان فى يناير ١٤٩٢م. وكانت قد سقطت قبلها دولتا (بنى عباد، وبنى حماد) كما قامت دولة الموحدين بالمغرب على أنقاض دولة المرابطين.

وهكذا ترامت مساحة الفتح الإسلامى الذى لم يعترف بحدود جغرافية، ولا موانع طبيعية أو عوائق مائية، فدخل أوروبا، وتوغل فى إفريقيا وآسيا، ودانت له معظم الأرض بالتبعية والطاعة، ولولا إغترار الأمويين وضعف العباسيين لما انهارت الخلافة الإسلامية بهذه السرعة، (ولولا حُب السيطرة والتملك، والزعامة، والقيادة، والسلطة، والريادة التى مزقت الجسد الإسلامى إلى دويلات صغيرة متناحرة تتصارع من أجل البقاء أو بسط النفوذ، ما صار بنا الحال إلى ما أصبحنا عليه الآن حيث تداعت علينا الأمم لتنهش فى الجسد الضعيف الذى خارت قواه).

(لقد اتفق علينا الأعداء واجتمعوا تحت راية واحدة أطلقوا عليها (التحالف الدولى) وقد تمكنوا بواسطته من إحراق أفغانستان، ولما لم يتحرك أحد تحركت الولايات المتحدة الأمريكية دون غطاء دولى وفى ظل رفض شعبى شبه إجماعى حتى من الداخل الأمريكى وتوجهت إلى العراق وفعل بها «جورج بوش» ما فعله التتار منذ عدة قرون. واستقرت أقدام وحيد القرن فى العراق ينتظر أن تخفت النيران التى يقف عليها حتى يتمكن من الإنطلاق إلى مناطق عربية وإسلامية أخرى حتى تتكون الإمبراطورية الأمريكية فى الشرق وحتى تقوم إسرائيل العظمي (الكبرى) على أنقاض العالم الإسلامى المتخلف الضعيف وعلى أطلال العروبة والقومية العربية المهلهلة) ولنا الله.

ومن عجائب الأقدار أن يقود الولايات المتحدة فى هذه المرحلة الحرجة فى التاريخ العجيب وهى المرحلة التى وصلت فيها أمريكا إلى وضع السيادة الدولية على أعلى الهيئات الدولية وأهمها على الإطلاق (الأمم المتحدة) كما أنها قد أصبحت وفى يدها ما يمكنها من فرض سياستها وسلامها واقتصادها فى عالم اليوم المسمى عالم (وحيد القرن). العجيب أن يقودها إلى هذه السلطوية والسيادية رجلٌ وصفه أحد بنى جنسه ووطنه وعقيدته بأنه (لص، وغبى، وجاهل).

فقد صدر مؤخراً كتاب عنوانه (رجال بيض أغبياء) للكاتب الأمريكى الشهير

(مايكل مور) الذى يقول عن رئيس بلاده (جورج بوش / الإبن) إن الرئيس الأمريكى يحمل لقب (القائد العام) باعتباره قائدا للقوات المسلحة الأمريكية كلها... أما الرئيس (دبليو بوش) فهو يستحق لقب (اللص العام) لأنه سرق الرئاسة.

ويمضى (مور) فى كتابه فيقول أن الرئيس بوش (جاهل وغبى وأن جهله من جهل الذين انتخبوه وتابع قوله فقال :

أجرى معهد علمى أمريكى مرموق دراسة متعمقة إلى استنتاج ملخصه أن (جورج دبليوبوش) هو أغبى رئيس حكم الولايات المتحدة، والمعهد هو : (Lovensteim im stitute of scramtom) ويعتبر أحد المراكز الفكرية المهمة بالولايات المتحدة حيث يضم عدداً كبيراً من علماء الاجتماع، والمتخصصين فى السلوك الإنسانى والمؤرخين.

وقد بدأت هذه الدراسة فى ١٣ /فبراير ٢٠٠١ ، واستمر العمل بها لمدة أربعة أشهر ولم يتم نشر نتائجها إلا مؤخراً.

وتضمنت هذه الدراسة نشر درجات ذكاء الرؤساء الأمريكيين الإثنى عشر الذين حكموا الولايات المتحدة فى الخمسين عاما الأخيرة فجاءت كالتالى : روزفلت ١٤٧ – ترومان ١٣٢ – ايزنهاور ١٢٢، كنيدى ١٧٤، جونسون ١٢٦، نيكسون ١٥٥، فورد ١٢١، كارتر ١٧٥ – ريجان ١٠٥ – بوش الأب ٩٨ – كلينتون ١٨٢ – بوش الإبن ٩١ ....!

وتقول الدراسة إن الرئيس « جورج دبليو بوش » هو الأغبى بلا منازع وبصورة مطلقة فلا أحد من الرؤساء الديمقراطيين أو الجمهوريين اقترب من هذه النسبة المتدنية.

وأشارت الدراسة إلى أن هناك عوامل متعددة وراء هذا الترتيب المتأخر للرئيس بوش بين رؤساء أمريكا منها ضعف تمكنه من اللغة الإنجليزية واستخدامه المحدود لمفردات اللغة، حيث يستخدم (٦٥٠٠) كلمة مقابل (١١) ألف كلمة فى المتوسط يستخدمها الرؤساء الآخرون[١].

وفى ذلك القدر الكفاية .

(فاعتبروا يا أولى الأبصار).

* * *

رابعًا : نشأة الحضارة الإسلامية

إن سلمنا بأن جزيرة العرب هى مهد الحضارة الإسلامية التى قادت العالم بأستاذية من الظلمات إلى النور، ومن الغى إلى الرشد، فذلك لأنها هى الأرض التى

(١) بتصرف من مقال للأستاذ / اسماعيل منتصر – مجلة أكتوبر ١٨/٨/٢٠٠٢ ع ١٣٤٧ .

شهدت النبت الأول للقاعدة العامة الصلبة التى قادت حركة التنوير البشرية بفضل الشريعة الإسلامية الغرّاء، كما أنها مهبط الروح الأمين (جبريل عليه السلام) الذى نزل بالقرآن الكريم على قلب النبى الأمي [محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ٦١٤م. الذي أرسله الله تبارك وتعالى: ﴿ **شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وكما قال تعالى: ﴿ **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾ [التوبة: ٣٣]

ولقد عانى الرسول (ﷺ) من الشدائد أشد ما عاني، وقاسي من المكاره المبالغ، في سبيل إبلاغ ما أمره الله تعالى به: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد صبر الرسول ﷺ على أذى قومه، ومنه فقد تحمّل المسلمون الأوَل المضار الجسام فى سبيل تلك الدعوة الجديدة، فتركوا الديار والأوطان فى الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم تآمر القريشيون على الرسول ﷺ واتفقوا على قتله، حتى أوحى الله تعالى إليه بالهجرة إلى يثرب (المدينة المنورة) - فهاجر مُكْرَهاً على فعلته، وتلك كانت بداية العمل بالتقويم الهجرى لتدوين أحداث الدولة الإسلامية الوليدة.

وقد عاد الرسول ﷺ إلى مكة فاتحا إياها سلما، ودخل أهلها في دين الله أفواجا كما قال تعالى: ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً** ﴾ [النصر: ١-٣].

وكانت تلك الحادثة العظيمة فى سنة ثمان من الهجرة[١].

وظل الرسول ﷺ يتلقى الوحى عن الله تعالى من جبريل عليه السلام حتى أتم الله له الأحكام العامة للشريعة الإسلامية من أعلاها حيث الشهادة بالوحدانية إلى أدناها عند إماطة الأذى عن الطريق.

وقد بين الرسول ﷺ من السنة الشريفة ما يصون حقوق الفرد والمجتمع والإنسان والحيوان والطير، وتناول كذلك أثناء حياته الكريمة ما يحقق سلامة الجار وأمنه على نفسه وماله وعرضه كقوله ﷺ: «ليس منا من لم يأمن جواره بوائقه».

وقد ختم الله تبارك وتعالى على الديانات بالإسلام وعلى الكتب بالقرآن، وكانت خطبة الرسول ﷺ فى حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة إيذانا بالختم على حياته ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً** ﴾ [المائدة: ٣].

(١) البداية والنهاية ج٢ ص ٧٤٦.

وبعدها لم تدم حياته ﷺ طويلا، حيث قُبض وهو ابن ثلاث وستين سنة وذلك فى غير رواية[١].

وإذا كانت شبه جزيرة العرب قد شهدت الطور الأول من مولد نجم الحضارة الإسلامية فإنه يتعين علينا بالتالى أن نؤكد أن الحضارة الإسلامية ليست مقصورة على العدنانيين أو المدنيين فى يثرب، لأنها ليست دعوة خاصة بهم مقصورة على أصحابها ومن نزلت بينهم فهى دعوة عامة شاملة تجاوزت حدود الزمان والمكان حتى نهاية الحياة الدنيا وقيام الساعة التى قيامها مشروط برفع القرآن الكريم من الأرض وقبْض العلماء ووفاة المؤمنين[٢].

وقد تجاوزت حدود المكان حقيقةً فنشرت بين زوايا العالم الأربع صحيح العقيدة، وهذبت الأخلاق، وأكدت على مساواة الجميع. كما أحاطت تلك الحضارة معاملات الناس بسياج من التشريعات القائمة على الإيمان العميق الذى تَعمُر بها قلوب أتباعها.

كما قررت الشريعة الإسلامية كذلك من الزواجر المادية ما يكفى لتأديب المسلمين وإصلاح حالهم، وعلُوّ شأنهم ليُصبحوا للعالم سادة يقودونه إلى الخير والحق والبر والهداية والعدل وإلى طريق مستقيم.

ويمكن القول أن الحضارة الإسلامية هى حضارة الشرق الأدنى القديم وجزء من إفريقيا، فهى بذلك ليست وليدة مرحلة مُتفردة، أو مرحلة واحدة من مراحل التاريخ. وذلك لأنها تمثل نتاجا لتداخلات الأمم ومزيجا من خبرات الشعوب فى منطقة الشرق الأوسط، كما أنها ثمرة للجهود الشاقة والأعمال العظيمة لأجيال متلاحقة من شعوب هذه المنطقة الذين آخى الإسلام بينهم وجمعهم لأول مرة عبر التاريخ الإنسانى الطويل من دولة لها دستور واحد «هو القرآن الكريم» ومنهج واحد هو منهج الرسول ﷺ ولغة واحدة هى اللغة العربية.

ويطالعنا التاريخ بأن العرب قبل الإسلام كانوا يضربون فى الصحراء دون أن يشعر بهم أحد، كما أن انشغالهم بمعاركهم القبلية الطاحنة أدى إلى إضعاف قواهم وإنهاك اقتصادياتهم القائمة على التجارة بحيث أصبح العرب لا يشكلون أى خطر أو تهديد على غيرهم من الشعوب المجاورة فيخشوا بأسهم.

---

(١) انظر البداية والنهاية ص٣٢٣ : ٣٣٠ .

(٢) انظر: هذا بلاغ للناس / للمؤلف .

وكان لاشتغال العرب بالتجارة البينية فيما بينهم والخارجية مع عرب الجنوب (القحانيين) وعرب الشمال الكنعانيين فى فلسطين. والغساسنة فى سوريا أثراً عظيما فى تتبع العرب لحركة النجوم واتجاهات الريح بما يُؤَمِّن لهم السير فى الصحراء ليلا من غير معاناة ومن دون أن يضلوا الطريق، وهكذا كان للعامل البيئى دوراً هاماً ومؤثراً فى الإبداع والتطور والدراسة والترقب فى أخطر فروع العلم والمعرفة وأهمها علم النجوم.

ومع بعثته ﷺ ونزول القرآن، وجد العرب آيات عظيمة تحثهم على البحث والنظر فى آيات الله، ودلائل قدرته، وقد شجعهم على الخوض فى هذه الأبحاث ما ذكر القرآن الكريم مؤكداً على وعد الله تعالى لبنى البشر عبر سنين الحياة الدنيا ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣].

وقد راح العرب يفتشون ويدرسون ويستوعبون ويبحثون ويستنتجون ويُطبّقون حتى غدوا قبلة أنظار العالم فى شتى فروع العلم والمعرفة.

وإذا كانت الحضارة الغربية متى وُجدت مثل (الروم – والإغريق) تقوم على عماد مادى محض وهو (الإقتصاد)، وإهمال عَمْد للعامل الروحى وطرح لقضايا الدين والعقيدة باعتبار قضية الدين «أمراً شخصياً مَحْضاً» – أى فى الجملة إسقاط إقامة أى وزن لموضوع الدين فى موازين السعادة البشرية وإستقامة حياتها.

فإن الحضارة الإسلامية فهى على النقيض التام من مبادئ المدنية (الحضارة) الغربية وذلك لأنها تقوم فى الأصل على العامل الروحى الخالص الذى يحض الإنسان ويدفعه إلى حسن إدراك صلته بالوجود، ودراسة طبيعة مكانه منه ومكانته فيه، حتى يبلغ الإيمان، فإذا ما وقع الإيمان فى قلبه هزّب نفسه وطهر فؤاده وذكى عقله وقدم غذاء ثمينا سليما من القيم السامية التى تنظم حياة الفرد والمجتمع على نحو يحقق السعادة والسلام والأمن للجميع.

ومن ثم فإن الجانب الروحى الشفاف فى الحضارة الإسلامية العظيمة قد ساهم بقدر كبير، وإلى حد بعيد فى تنقية الحضارة ذاتها من كل زيف، ونَقّحَهَا من كل باطل، وطهرها من كل خبث، وأخرج من الصدور ما كان يملؤها من أنانية متطرفة، وجعل أتباع الدين الإسلامى الحنيف على إختلاف أوطانهم وألوانهم وأجناسهم يتعاونون جميعا إلى أقصى ما يمكن فى حدود التعاون بما بثه القرآن الكريم فى نفوس المسلمين، وما أرساه من عقائد راسخة عند أتباعه توجب التقدير للإنسانية وتُلزم احتراما لتشريعات السماء.

وقد أجاد وأوجز (لوثرب ستودارة) فى قوله عن الأمة العربية[1]: «ما كان العرب قط أمة تُحب إراقة الدماء، وترغب فى الإستلاب والتدمير، وإنما كانوا أمة موهوبة عظيمة الإخلاص والسجايا، توّاقة إلى ارتشاف العلوم، وعن اختلاط الغالبين من العرب بالمغلوبين من غيرهم نشأت حضارة جديدة، وقد سارت الممالك الإسلامية فى القرون الثلاثة الأولى أحسن سيرة فكانت أكثر أصقاع العالم حضارةً، ورُقيّا، وعُمرانا، بها المدن الزاهرة، والمساجد الفخمة والجامعات العلمية المنظمة.

* * *

خامسًا: فضل العرب فى الفتوحات الإسلامية

كما تقدم فإن عرب الجنوب فى مناطق (اليمن وحضر موت) إشتهروا بأنهم أصحاب تجارة ناجحة عبرت حدود دولتهم وانطلقت إلى آفاق أوسع وحدود أبعد بفضل ما برعوا فى استخدام الأساطيل البحرية، واجتياز البحار، حتى وصلوا إلى الهند وجنوب إفريقيا وشمالها، وتقدموا شمالا صوب الغساسنة، والفينيقيين وقد تخطوا الصعاب من أجل تجارتهم التى اتّسعت خاصة مع الساحل الشرقى لإفريقيا (مصر وليبيا) بعد أن تمكنوا من عبور البحر الأحمر من الجنوب إلى الشمال منذ ما قبل الإسلام بمسافات بعيدة.

ولما جاء الإسلام وتمكن المسلمون من الإستيلاء على الشمال الإفريقي بعد أن دحروا الرومان ودولتى البربر (سابقتى الذكر) لم يقنع العرب بالشريط الساحلى كسابقيهم من الرومان، فاقتحموا الصحراء واخترقوها، وتقدموا إلى ما وراءها شجعهم على ذلك ما أجادوا وما برعوا فى علوم الفلك والنجوم والرياح، وكذلك لأن الصحراء لم تكن شيئًا غريبًا عنهم.

ولما أتم الله تعالى لعمر بن الخطاب والمسلمين فتح الشام، أنزل عمر جيوشه العربية لفتح مصر سنة عشرين من الهجرة: كما قال [محمد بن إسحاق، والواقدى] الذى أضَاف والاسكندرية إلى قول ابن اسحاق.

وقال أبومعشر: فُتحت مصر والإسكندرية فى سنة ست عشرة فى ربيع الأول منها، ورجّح ذلك أبو الحسن ابن الأثير فى كتابه الكامل[2]، وذلك بعد أن أتم الله للمسلمين فتح بيت المقدس.

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ج١ ص٥٨ .

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص ١٣٠ .

وقد سارت هذه الجيوش مع النيل بعد فتح مصر صوب الجنوب.

ومن ثم يمكن القول بأن الفتح الإسلامى لإفريقيا تم عن طريق ثلاثة منافذ رئيسية هى: عبور صحراء شمال إفريقيا صوب الجنوب، وكذلك عبور النيل باتجاه الجنوب والغرب، وكذلك عن طريق الوافدين عبر البحر الأحمر إلى الصومال، وشرق إفريقيا، ثم انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً فى هذه المناطق، وقد خلق الإسلام فرصا عظيمة وواسعة للرحالة العرب الذين لا يعرفون حدوداً بين البلاد الإسلامية.

* * *

سادساً: الآثار ولغة الحوار

كانت أوروبا خاملة الذكر راكدة رابضة فى قاع التاريخ جاهلة نفسها قبل أن يجهلها الآخرون، ولم يكن ليُعرف عنها إلا القليل قبل الألفية السابقة على ميلاد المسيح (عليه السلام).

وقد تأثرت المناطق الشرقية تَأثُّراً مباشراً بفضل ما نَقَلت أو نُقِل إليها من الحضارات المزدهرة الراقيَة القديمة فى وادى النيل، وبين الرافدين.

وعلى الجانب الآخر فقد تأثرت الحضارة الشرقية القديمة بالحضارتَيْن اليونانية والرومانية بفضل الاحتكاك الذى حدث بين الحضارتين الشرقية والغربية. عندما حدث المزج والخلط المباشر بين شعوب الفتح الرومانى لكل من مصر والشام والعراق فى القرن الرابع قبل الميلاد. حيث أمر الإسكندر بترجمة كل ما فى كتب الفُرس إلى اللغة الإغريقية، ولما بلغ ما أراد، أمر بإحراق تلك الكتب، وتأثرت الثقافة الفارسية بهذا العمل غير أن الفُرس قد استعانوا بمن لجأوا إليهم من مثقفى الرومان الهاربين من الاضطهاد والبطش فى نقل ما فقدوه من المعارف، وعادت الثقافة الفارسية ثانية إلى الإزدهار[1].

والثابت أن ملوك فارس من آل ساسان قد انغمسوا فى الترف وحياة الفساد واستبدوا بالمحكومين. مما باعد بينهم وبين المحكومين فتوالى خلع الملوك، واضطربت الدولة، التى كانت قد فرضت الضرائب الباهظة على المواطنين مما أثر إلى حد كبير فى مستوى معيشة المواطنين، وقد نتج عن ذلك أن أضحت الدولة الفارسية فى أواخر أيامها عرضة للقلاقل والاضطرابات خاصة أن الأكاسرة كانوا ينظرون إلى غير المجوسيين من اليهود، والصابئة، والمسيحيين، والبوذيين نظرة ريبة وتوجس فأنزلوا بهم من الاضطهاد ما أنزلوا، بحيث رأى هؤلاء

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ص٥٠.

جميعًا ومعهم الشعب الفارسى الذى أثكلته الضرائب طريق الخلاص والنجاة من أوضاعهم المأساوية فى اللجوء إلى الإسلام، واعتناق دين يلتمسون فيه حياة أفضل، ويرجون منه عوضا أجْزى عما عانوا وما قاسوا.

ولما دخل هؤلاء فى الإسلام بعد الفتح أقبل المثقفون والراغبون منهم على دراسة الدين الإسلامى ولغته العربية، وقد ساهم هؤلاء بجهد مشكوز فى دفع عجلة الحضارة الإسلامية وتقدمها من خلال إثرائها بأنواع المعارف الهندية والفارسية.

كما نقل السريانيون وهم بقايا (الكلدانيين، والبابليين) بعض كتب الفلاسفة من أمثال (أرسطو، فيثاغورس، وأفلاطون) حيث كان السريانيون من تلامذة اليونانيين فى العلوم الإغريقية والفلسفية وكانوا يدرسونها فيما يقرب من نحو (٥٠) خمسين مدرسة فى العراق، وقد تخرج من هذه المدارس أكثر المترجمين الذين نقلوا الكثير عن الإغريق إلى السريانيّة، ومن ثم إلى العربية، الأمر الذى مكن العرب من امتلاك ناصية العلوم اليونانية والأقدمين، وبهذا يبدو واضحا ما للحضارتين الفارسية واليونانية من آثار على الحضارة الإسلامية التى حفظت بدورها للعالم تراث الأقدمين والأولين.

ملحوظة:

الصابئة:

قيل أنهم يعتقدون أن الإله الأعظم خلق هذه الكواكب الثابتة والسيارة، وفوض تدبير هذا العالم السفلى إليها، فالبشر عبيد هذه الكواكب، والكواكب عبيد الإله الأعظم، فالبشر يجب عليهم عبادة الكواكب[1].

* * *

(١) مفاتيح الغيب ج١٥ ص ٧٤٧.